قصة سيدنا هود

رست سفينة سيدنا نوح عليه السلام على جبل الجودي، ثم دعا بالدعاء الكريم المبارك: ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ﴿٢٨﴾﴾ [نوح: 28]، فكل من يقرأ سورة «نوح» ويمر على «المؤمنين والمؤمنات» يكون ممن دعا له سيدنا نوح عليه السلام... فثابر أخي المسلم على قراءتها...

وهبطت السفينة بسلام:

قال تعالى: ﴿قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ﴾ [هود: 48]، أي: انزل بسلام واستقر أنت ومن معك.. ﴿قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ ۚ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٨﴾﴾.

ونزلت ذرية سيدنا نوح على الجبل وهم ثلاثة أولاد: سام وحام ويافث... عرفنا هذه الأسماء من حديث للنبيّ ﷺ حيث قال: «**أبناء نوح ثلاثة: سام أبو العرب، وحام أبو الحبش، ويافث أبو الروم**»[1]...

ومن ذرية هؤلاء الثلاثة جاءت كل الأجناس البشرية حتى يومنا هذا... فكل عربي هو من ذرية سام، وكل صاحب جلد أسود هو من ذرية حام، والباقون من الأوروبيين وغيرهم من ذرية يافث، ولذلك من الأخطاء الشائعة أن يقال على الأمريكيين أبناء العم سام، مَنْ أبناء العم سام؟ هم العرب، نحن أبناء العم سام، أما هم فأبناء العم يافث...

الإسلام هو الأصل:

وكل من الأبناء الثلاثة سكن منطقة من الأرض، فسكن سام منطقة الشرق الأوسط، وسكن حام القارة السوداء (إفريقيا)، وسكن يافث شمال الكرة الأرضية أوروبا... وحين نزلوا كان الثلاثة مؤمنين... فالأصل في أوروبا أنها كانت مؤمنة. وكذلك أفريقيا والشرق الأوسط...

---

(1) أخرجه الإمام أحمد في (الحديث: 5/ 10).

الأرض كلها بعد نوح ﷺ بدأت بالإيمان، والأصل في الأرض الإيمان، وليس الأصل في الأرض الكفر والشرك بالله، وهذا معنى مهم جداً يعطيك ثقة في نفسك وأنت تتعامل مع الغرب أننا الأصل، والإسلام هو الأصل، والصلة بالله تعالى هي الأصل... نحن نثق في أنفسنا ونثق في منهجنا الذي هو الإسلام.

شؤم المعصية:

تجري أحداث هذه القصة في منطقة جنوب الجزيرة العربية بين اليمن وعمان والسعودية، المنطقة التي تسمى الآن بالربع الخالي... ففي منطقة الربع الخالي هذه دارت أحداث القصة... والربع الخالي هذا له اسم ثان في القرآن سماه الله تعالى به، وهو: الأحقاف..

الأحقاف: هي الرمال المتحركة الضخمة الناعمة جداً التي تبتلع من يدخل فيها مثلما تبلع مياه المحيط.. ولذلك فهذه المنطقة قاحلة غير مسكونة..

لكن نلاحظ أن هذه المنطقة «الأحقاف» أيام قوم عاد كانت منطقة خصبة جداً، وممتلئة بالأنهار... والمعنى: أن الجزيرة العربية كانت خضراء، كانت مزارع.. فما هذه الصحراء والجدب التي هي عليه الآن؟ السبب: أن الله تعالى أهلك قوم عاد وترك الأحقاف بهذا الشكل لتكون آية على ما حدث لهم.. سيدنا نوح ﷺ أين بعث؟ لا نعلم.... سيدنا آدم ﷺ أين بعث؟ لا نعلم.. قال تعالى في كتابه العزيز محدداً هذه المنطقة: ﴿وَٱذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُۥ بِٱلْأَحْقَافِ﴾ [الأحقاف: 21]، لنتذكر دائماً كيف تحولت المنطقة الخضراء بسبب معاصي قومها إلى صحراء جرداء... صحراء مشؤومة... لدرجة أن الله تبارك وتعالى جعل اسم سورة من سور القرآن «الأحقاف» ليقول لك: أتذكر الأحقاف هذه وكيف كانت منطقة خصبة مثل وادي النيل..

ولِمَ سميت عاد؟

القبيلة الأولى التي عاشت في منطقة الأحقاف تسمى: عاد. وهذه القبيلة التي بعث فيها سيدنا هود ﷺ. ولم سميت قبيلة عاد باسم عاد؟ عاد جاءت من العَوْد، يقال: عادوا بعد أن غرق الناس في الطوفان. عاد الجنس البشري للوجود ثانية، فكانت أكبر قبيلة بعد الطوفان هي قبيلة عاد، فسميت عاداً من العودة. عاد هذه التي نسيت أنها عادت بفضل الله سيحدث لها عقاب من الله تعالى...

العرب من الأنبياء:

سيدنا هود عليه السلام هو أول نبي عربي أرسل إلى قبيلة عاد، فكلمة عربي ظهرت بعد الطوفان، يقول سيدنا أبو ذر رضي الله عنه: ذكر لي النبي ﷺ الأنبياء والمرسلين، ثم قال لي: «**منهم أربعة من العرب: هود، وصالح، وشعيب، ونبيك يا أبا ذر**»[1] بين سيدنا هود وسيدنا نوح أربعة أجيال. وسيدنا نوح عليه السلام ـ كما نعلم ـ جده السادس إدريس، وإدريس جده الثالث شيث، وشيث هو ابن آدم.

إذن نلاحظ أن الأنبياء كلهم عائلة واحدة، من يتمنى أن تكون عائلته كلها عائلة متدينة أجداداً وأحفاداً عليه أن يربي أولاده وأحفاده لينطبق عليه قول الله تعالى: ﴿ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ﴾ [آل عمران: 34].

يا شباب من أراد منكم الزواج عليه بذات الدين لتكوّن عائلة موصولة كلها بالله تعالى، وأنتِ يا أختي، لا تتزوجي ممن لا يصلي، أو من قال لكِ سوف أصلي، ليصلِّ أولاً وبعدها يتقدم. فمن لا يعبد ربه ولو بسجدة هل سيكون أميناً مع ربه في المحافظة عليكِ؟ وكيف يأمن والدك أن يزوجك بشاب لا يصلي؟ أيعقل أن ننظر للمال ونقول: إنه شاب ابن حلال وأخلاقه جيدة ولكن لا يصلي؟ فالصلاة أكبر دعامة من دعائم الإسلام.

خصوصية هود عليه السلام عند النبي ﷺ:

كلما تذكرت أسماء الأنبياء عند نبينا كان يقول: «**رحمة الله علينا وعلى هود وعلى صالح**»[2]، إنه يختص وهو يدعو سيدنا هود وسيدنا صالحاً عليهما السلام. إذن سيدنا هود عليه السلام غالٍ جداً على نبينا محمد ﷺ. فلا بد كذلك أن يكون غالياً علينا نحن المسلمين...

الشيطان وغواية البشر:

نجّى الله المؤمنين في السفينة، ووقفت السفينة على جبل الجودي، وكل من نزل منها كان يعبد الله تعالى. طبعاً رأوا العجب في السفينة، وكيف أهلك الله تعالى الناس بالطوفان في وسط الصحراء ونجاهم، فالجيل الذي عاش بعد الطوفان كان جيلاً عابداً وطائعاً لله، وجاء الجيل الذي بعده مؤمناً أيضاً، والشيطان لا يتحرك؛ لأنه لو دخل الآن لخسر؛ لأن إيمان هؤلاء الناس قوي جداً، وجاء الجيل الثالث والتوصية بدأت تقل، وبدأ الشيطان يكرر نفس ما حدث في الفترة ما بين سيدنا إدريس وما بين سيدنا نوح عليهما السلام. بدأ يُدخل عبادة

(1) ذكره **ابن كثير** في «تفسيره» (2/ 423)، و(2/ 424)، وذكره أيضاً في «البداية والنهاية» (1/ 185).

(2) أخرجه الإمام **أحمد** في (الحديث: 5/ 122).

الأصنام بنفس الطريقة: يحببهم في الصالحين وبعدها يقيم لهم مقاماً، وبعدها يطوفون حوله وبعدها يعبدونه. وبدأ الناس يضلون وعبدت الأصنام مرة أخرى، وكان أول من عبد الأصنام قبيلة عاد.

هؤلاء هم اليهود:

رجعت البشرية للكفر ثانية وليس بينهم وبين الطوفان إلا مئة سنة فقط، وعادوا يكررون نفس الخطأ. فلا تستغربوا؛ لأن اليهود فعلوا أكثر من هذا. بنو إسرائيل فعلوا ما لم يفعله أحد وما لا يمكن أن يصدقه أحد، انفلق البحر لسيدنا موسى عليه السلام فكان كل فِرْق كالطود، المياه وقفت مثل الحائط يميناً وشمالاً وفتح لهم طريق في الأرض يمرون عليه. إذا حدثت معك هذه الآية ماذا تفعل؟ لا شك أنك ستسجد لله شكراً. أليس كذلك؟ عبر بنو إسرائيل البحر حتى إذا أراد فرعون ومن معه أن يعبروا رجع الماء إلى ما كان عليه، ووصلوا إلى البر الثاني من البحر وأقدامهم مبتلة، فوجدوا أناساً يعبدون العجل: ﴿قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾! [الأعراف: 138]، ولكن من بعد محمد ﷺ انتهت عبادة الأصنام في الأرض..

المحطات الشيطانية السبعة:

كيف ضحك الشيطان على الناس وفعل نفس الفعل معهم بتكرار عبادة الأصنام؟ ذلك لأن الشيطان لا ييأس أبداً. العلماء حين يتكلمون عن الشيطان يقولون: ***ان الشيطان ملحاح بطيء اليأس***، ليس لحوحاً، بل ملحاح وبطيء اليأس، لا ييأس أبداً، انظر للكراهية! والشيطان يغويك ضمن سبع محطات:

المحطة الأولى:

أول محطة يريدها أن يدخلك قعر جهنم، فيقول لك: اكفر؛ لأنه يريد أن ينهي صراعه معك من البداية فتنجو من هذه العقبة بقولك: لا إله إلا الله، محمد رسول الله...

المحطة الثانية:

فينتقل إلى المحطة الثانية أو العقبة الثانية بأن يقول لك: أشرك بالله، بأن يضع أشياء في مقام الله، من الممكن أن تكون الموضة والثياب أعز عليكِ من أمر الله بالصلاة، وكأن تقول: كرة القدم هي حياتي، أو أن تقول مثلاً: النساء هن حياتي كلها، يمكن أن أطيع إلا في موضوع النساء، أنا أحب المال ولا أقاومه، فيقول لك النبيّ ﷺ: «**تعس عبد**

الدرهم»[1]، ولم سماه عبد الدرهم؟ لأنه وضع الدرهم في مقام الله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: 165]، ربما فتاة لها علاقة محرمة مع شاب لكن لا تقدر أن تتركه! ﴿أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾، مسلم وموحد لكن وضع شيئاً بجنب الله، وكيف النجاة من هذا الشرك؟ الالتزام بأوامر الله ﷻ، وبسنة النبيّ ﷺ.

المحطة الثالثة:

فينتقل معك إلى العقبة الثالثة وهي عمل الكبائر: ازنِ، اشرب الخمر، يقول لك: أنت موحد ويكفي أنك مسلم، وهذه الكبائر ـ يا أخي ـ ربك غفور رحيم عنها، إذا وقعت في الكبائر ـ والعياذ بالله ـ فكيف النجاة منها؟ بالاعتصام بالله تبارك وتعالى وبالتوبة.

المحطة الرابعة:

إذا فشل معك في إتيان الكبائر ينقلك إلى العقبة الرابعة، يقول لك: اعمل الصغائر، ويكثر لك الصغائر ويقللها في عينك جداً، أثناء سيرك مثلاً في الشارع أي امرأة تراها تنظر إليها، ثم يقول لك: أنت أحسن من فلان وفلان، أنت لا تفعل الكبائر مثلهم، وكلنا معرض لعمل الصغائر، والنجاة منها تكون بالاستغفار والتوبة.

المحطة الخامسة:

وهي أنك إذا لم تفعل المعاصي فعلى الأقل لا تفعل الطاعات، فيضيع وقتك في اللاشيء، تجد شاباً لا يفعل الذنوب ولا المعاصي، ولكنه غافل عن طاعة الله، أو يضيّع وقتك بأن تمسك مجلة من المجلات الفنية مثلاً وتقلبها من الجلدة للجلدة، وتترك المجلة فتمسك بالكلمات المتقاطعة وتقضي فيها وقتاً طويلاً، ولو عرفت أن طاعة الله أولى، ما كنت تضيع وقتك وتقضيه على المقهى، أو تشاهد مباريات كأس العالم مباراة بعد مباراة، ست مباريات في اليوم، وهذا ليس حراماً ولكن لا تنس ربك حتى في اللهو واللعب.

المحطة السادسة:

ثم إذا فشل معك في تضييع وقتك فيما لا فائدة منه، ينقلك إلى المحطة السادسة: فيشغلك عن الأمور المهمة بأمور أقل أهمية، يعني يقول لك: تريد التدين القوي، عليك بإماطة الأذى عن الطريق وهي سنة، نعم، ويكون شغلك الشاغل وأنت تمشي في إزالة الورق من الشارع، لو رأيت أذى في الشارع عليك أن تزيله لكن ليست هذه هي قضيتك!

---

(1) أخرجه ابن ماجه في (الحديث: 4136).

ومن حيل الشيطان مثلاً: يجعل امرأتين تتشاجران على أن تصلي إحداهما في هذا المكان أم هذا المكان فيضيع عليهما ما هو أهم وهو التركيز في طاعة الله.. النبيّ ﷺ يقول: «**الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة فأفضلها قول: لا إله إلا الله وأدناها** ـ إذن هناك أعلى وهناك أدنى ـ **إماطة الأذى عن الطريق**»[1].

فيشغلك بقضايا فرعية من الدين ويجعلك تسرح مع هذه القضية، مثل نملة سيدنا سليمان عليه السلام: ذكر أم أنثى؟ وتحضر الكتب وتبحث، هذا دين وأنت متدين لكن شغلك بالأقل أهمية عن الأكثر أهمية، النبيّ ﷺ يقول: «**إن الله يحب معالي الأمور ولا يحب سفسافها**»[2].

المحطة السابعة:

إذا فشل في كل ما سبق يجعل الناس تسخر منك، لابد أن يؤذيك، مثلاً: كارتداؤك للحجاب، وكيف يجعل زميلاتك يسخرن منك ويستهزئن بك، والنجاة منها يكون بالإصرار على طاعة الله.

وعلى كلٍّ منا أن يحدد المحطة التي أقامه الشيطان بها، ليعلم أين هو من طاعة الله تبارك وتعالى.

وصف قبيلة عاد:

جاء ذكر سيدنا هود عليه السلام في القرآن سبع مرات، وجاءت قصة عاد في القرآن في ثمانية عشرة سورة، والكتاب الوحيد الذي تكلم عن قصة عاد هو القرآن، كل الكتب السماوية الأخرى لم تتكلم عنها، لن تجد ذكراً في التوراة ولا في الإنجيل عن سيدنا هود وقوم عاد، قبيلة عاد لم تكن قبيلة عادية، كانت قبيلة شديدة القوة والبطش، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝٦ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ۝٧ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ۝٨﴾ [الفجر: 6 ـ 8].

ما معنى: لم يخلق مثلها في البلاد؟

يعني: ***لم تأت حضارة على وجه الأرض أقوى من عاد، ولا الفراعنة بنص القرآن، ولا حتى قوة أمريكا اليوم.***

---

(1) أخرجه **مسلم** في (الحديث: 152)

(2) ذكره **الطبراني** في «المعجم الكبير» (الحديث: 3/ 142).

وما معنى: إرم ذات العماد؟

العماد من الأعمدة، والعماد هي المبالغة في الأعمدة الضخمة جداً، فكانت إرم ذات العماد، يعني: الأبنية ذات الأَعمدة الضخمة جداً جداً، كأنه يتكلم على ناطحات سحاب، مدينة مقامة على أعمدة غاية في الضخامة، ﴿إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ۝٧ ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَـٰدِ ۝٨﴾، ليس هذا فقط؛ بل إن قبيلة عاد بالإضافة لحضارتهم الفولاذية هم أنفسهم كان شكلهم وتكوينهم غير طبيعي، سيدنا هود عليه السلام يقول لهم: ﴿وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً﴾ [الأعراف: 69]، وزادكم في الخلق بسطة، أي: ضخامة الأجسام بشكل غير عادي، المفسرون يقولون: إن أقصرهم طولاً كان ستين ذراعاً، وأطولهم مئة ذراع أي: في طول النخل تقريباً، لدرجة أن أحدهم يضع يده في الجبل فينتزع الصخرة ينحتها من الجبل، هل وصلت حضارة بهذه القوة؟

لا بد أن نعرف أنه كان هناك من هو أقوى منّا من آلاف السنين، وإذا كان الغرب قد اغتر بقوّته، فعاد كانوا أقوى منهم، فعلى الغرب أن يعتبر بنهاية عاد لما أصروا على البعد عن الله..

يقول تبارك وتعالى: ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ۝١٢٨﴾ [الشعراء: 128]، الريع يعني: الجبال العالية، كانوا يبنون بيوتهم على مرتفعات الجبال، تخيل أسرتهم كيف كان شكلها؟ تخيل قصورهم، آية في الفن والإبداع، ليست قصوراً إنما قلاع غير طبيعية بضخامة غير طبيعية.

أما أرضهم فهي أرض خصبة جداً، ومن أحاديث نبيّنا ﷺ نستدلّ كيف كانوا يعيشون: **«لا تقوم الساعة حتى تعود أرض العرب مروجاً وأنهاراً»**[1].

إذن كانت أرض العرب أنهاراً، يا جمال الوضع الذي كانوا يعيشون فيه، لكن للأسف هذه الحضارة التي فاقت حضارة الفراعنة، وحضارة الغرب، هذه الحضارة التي لم يخلق مثلها في البلاد، كفر أهلها وعتوا عن أمر الله، فأرسل الله لهم سيدنا هوداً عليه السلام.

اللين سبيل الدعاة:

وماذا قال لهم سيدنا هود؟ يقول الله تبارك وتعالى في سورة «الأعراف»: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا﴾ [الأعراف: 65]، أخاهم، هل كان هود أخاهم أم لا؟ ما معنى أخاهم؟ أخاهم

(1) أخرجه مسلم في (الحديث: 2336).

جاءت؛ لأن سيدنا هود كان كثير الحنان عليهم وشديد الحب لهم، وهو يدعوهم فقال الله تعالى عنه ﴿أَخَاهُمْ﴾، إذن علاقتنا بالناس يجب أن تكون مثل علاقة هود عليه السلام مع قومه، إياك أن تدعو الناس وأنت في برج عالٍ، إياك أن تدعو الناس وأنت تقيم عليهم الحجة وتقول لهم: أنتم بعيدون عن الله وأنا الصالح، أنتم ضائعون ونجاتكم في يدي، يا ضائعين يا فسقة، إياك أن تفعل هذا الأمر، إياك أن تعيش هذا الإحساس، وقتها ستكون أنت الذي لا يفهم أي شيء من القرآن، افهموا القرآن ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا﴾ هو أخاهم! إذن سيعاملهم برفق، بلا عنف، ولا إرهاب ولا غِلْظَة، سيكون هناك ود، سيقول لهم: أنا أحبكم، أنا خائف عليكم، إذن من يجد في أبيه أو أمه شيئاً لا يعجبه فلا يذهب إليهما ويقول: أنتما تفعلان المعصية الفلانية، أو عندما يجدهما يشاهدان التلفاز فيذهب ليغلقه، لا، إياك أن تفعل هذا، إياك أن يكون هذا هو فهمك للإسلام إنما عليك بالرفق واللين.

ولماذا سُمي هوداً؟

قال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا﴾ أخاهم من؟ هوداً، ولماذا سمي هوداً؟ هود من الهَوْد، والهود أي: التأني معناها: أنه كان يدعو قومه بتأنٍ وهدوء ورحمة، اسمه يعرفك كيف كان يدعو، فتذكر أنت كلما أردت أن تؤذي أحداً أو أن تشتد عليه تذكر أن سيدنا هود معنى اسمه: الرحمة، تفكّر أيها المسلم، حتى اختيار أسماء الأنبياء فيه حكمة، انظروا لاسم سيدنا محمد، اسمه أحمد ومحمد؛ لأن هذا هو دوره، وسيدنا هود رحيم ودود فاسمه: هود.

حلاوة العبودية:

قال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ في سورة «الأعراف» نجد أن كل نبي يبدأ الحوار مع قومه بقول: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾، أحلى شيء في الدنيا يوم أن تشعر أنك عبد لله، وأحلى ساعة في حياة الإنسان عندما يشعر أنه بين يدي الله ﷻ عبد، نحن أحياناً نقرأ القرآن ونمر على: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾، ونكمل، قف عند ﴿اعْبُدُوا﴾، أنا عبدك، كم مرة نحس في اليوم أننا عباده؟

هل تعرف ما معنى عبدك؟

يعني: أنا ملكك، أنا ليس لي غيرك، أنت تأمرني وأنا أنفذ، العبودية لها حلاوة، العبودية لله يعني: كمال الحب لله مع كمال الخضوع له، تحبه جداً وأنت خاضع له وكلما خضعت له تحبه أكثر، مسكين من يظل أسبوعاً لا يشعر أنه عبداً لله، مسكين الذي لا تدمع

عينه لإحساسه بحلاوة العبودية، أخشى أن تكون هذه المعاني قد ذهبت من قلوب المسلمين، أنا خائف أن نكون محافظين على الصلاة لكن لا يوجد بداخلنا طاقة العبودية، الشاب الصغير الذي ما زال في بداية حياته إن لم يحس بالعبودية في هذه المرحلة؟ هل سيحسها عندما يكبر؟ نحن محتاجون أن نضغط على قلوبنا وندعو: يا رب، اجعلني أتذوق حلاوة العبودية، يقول النبيّ ﷺ: «**اللهم إني عبدك وابن عبدك وابن أمتك**..»[1]، نريد أن نحس أننا عباد له، وليس لنا غيره. ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [الأعراف: 65]، ما لكم من إله غيره، اقرؤوا القرآن وتذوقوه: ﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾، هل لك غيره؟ أحد الصالحين يناجي ربه ويقول: «**يا رب، ماذا فقد من وجدك؟ وماذا وجد من فقدك؟ من فقدك فقد فَقَدَ كل شيء، ومن وجدك فقد وجد كل شيء**»، من يجد الله في قلبه فقد وجد كل شيء حتى وإن كان لا يجد ما يأكله، حتى وإن كان فقيراً وعنده مشاكل الدنيا والآخرة، فالمرأة التي تعاني من مشاكل مع زوجها وأولادها، لكنها وجدت الله تبارك وتعالى في قلبها هي الرابحة، ونحن الذين نضحك ونأكل ولدينا المال نحن الذين خسرنا، نريد أن نحس أنه ما لنا من إله غيره، ليس لي غيرك ولا يوجد في قلبي أكبر منك، أوامرك مطاعة؛ لأنه ليس لي إله غيرك يا رب العالمين.

أفلا تتقون؟

قال تعالى: ﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾، لماذا قال لهم أفلا تتقون؟ ماذا يتقون؟ يتقون ما حدث لقوم نوح من الطوفان، أما أنا اليوم فأقول لكم: أفلا تتقون أن فلاناً مات وهو يشرب مخدرات؟ أفلا تتقون أن فلانة صاحبة فلان التي تزوجته عرفياً تندم وتعض على يديها الآن؟ أفلا تتقون أن فلاناً الذي صاحب أصحاب السوء نهايته كانت حادثة في سيارة في الطريق الصحراوي وهم يشربون الخمر؟ سيدنا هود عليه السلام يقول لهم: أفلا تتقون؟ ويقصد ما حدث لسيدنا نوح، وأنا أقول: أفلا تتقون أن تروا كل يوم مصيبة تحدث للعاصي؟ أفلا تتقون يا شبابنا ويا فتياتنا؟ الذي يشرب الخمر أفلا تتقي أن تموت وأنت تفعل الحرام؟ أفلا تتقون؟

بم ترد؟

رد قوم هود وقالوا: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ﴾ [الأعراف: 66]، أنت سفيه يا هود، الهادىء سفيه! ﴿إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ فقال لهم هود عليه السلام بكل أدب وحنان: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ

(1) أخرجه الإمام أحمد في (الحديث: 1/ 391).

﴿وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦٧ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ۝٦٨﴾ [الأعراف: 67، 68]، الآية التي تليها ﴿أَوَ عَجِبْتُمْ﴾ [الأعراف: 69]، هل أنتم مستغربون أنني أدعوكم إلى الله؟ مثلما يقول الأصحاب لصديقهم الذي ينصحهم: يا رجل صرت شيخاً؟ نسيت ماذا كنت البارحة؟ لقد كنت ضائعاً وتفعل المعاصي كذا وكذا وكذا، فقوم هود قالوا له بهذا المعنى، فقال لهم: هل أنتم متعجبون ﴿أَوَ عَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ ۚ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ﴾ هو يذكرهم بنِعَم الله عليهم ﴿وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً﴾ هل نسيتم نِعَم الله عليكم؟ هذه القوة التي عندكم أليست من الله؟ أنتِ أيتها الأخت الجميلة أليس هذا الجمال من عند الله؟ المال الذي معنا أليس هو من عند الله؟ ﴿وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً﴾ يذكرهم ويقول لهم: لا تنسوا المنعم.

لا تنسى أنك تستطيع أن تتصرف وهناك من لا يتصرف، لا تنسى أنك ترى وغيرك أعمى، لا تنسى أنك تفهم وغيرك مجنون يضحك عليه الناس!

﴿فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ﴾ آلاء بمعنى: نِعَم، وفي سورة «الرحمٰن» كلها ﴿فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝١٣﴾، لما نزلت هذه السورة؟ كان الصحابة يسمعون من النبيّ ﷺ وهم لا يتكلمون، فقال الرسول ﷺ: **«ما لكم لا تتكلمون؟»** قالوا: ماذا نقول يا رسول الله؟ قال: **«تكلمت الجن لما سمعت الآية ولم تتكلموا»**، فقالوا: وماذا قالت الجن يا رسول الله؟ قال: **«لما سمعت الجن ﴿فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝١٣﴾ قالوا: لا بشيء من نِعَمِكَ ربنا نكذب فلك الحمد»**[1] الجن الذين تخافون منهم أكثر شكراً على النعمة منا! ﴿فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ﴾، إن أحد مشاكلنا أننا لم نعد نذكر نِعَم الله، فأنزل الله لنا سورة في القرآن ـ سورة كاملة ـ تتكلم على خطورة عدم الشكر على نعَمة الله، أن تألف نعمة وتقول: أنا اعتدت أن أرتدي ملابس جميلة وبذكائي أنا أختار الملابس والسيارة و.. و.. إياكم أن تألفوا النعمة تذكروا دائماً المنعم، إلف النعمة مشكلة، توجد سورة في القرآن تتكلم على خطورة إلف النعمة وهي سورة «قريش» ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ۝١﴾ [قريش: 1]، نحن نقرؤها كثيراً والمعنى: إلى متى يا قريش تألفين نعمتي؟ ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ۝١ إِۦلَٰفِهِمْ﴾ [قريش: 1، 2]، ماذا ألفوا يا رب؟ ﴿رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ﴾ التجارة، ألفوا أن هذه التجارة ونجاحهم بها كان بذكائهم وخبرتهم، هذا من نعمتي عليكم، والحل أن تتذكروا النعمة ﴿فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ۝٣ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۢ ۝٤﴾ [قريش: 3، 4].

---

(1) أخرجه **الترمذي** في (الحديث: 3291).

كيف نشكر الله ﷻ؟

التعود على النِّعَم مشكلة، سيدنا داود عليه السلام يناجي الله ﷻ ويقول: يا رب، كيف أشكرك وشكري لك نعمة تستحق الشكر؟ فقال له الله تبارك وتعالى: يا داود، إذا عرفت هذا فقد شكرتني، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: 7]، فلا زيادة إلا بالشكر، سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ ذات مرة قابل رجلاً في الطريق فقال له عمر: كيف أصبحت؟ فقال: بخير، فقال له عمر: كيف أصبحت؟ قال: بخير، فقال له عمر: أقول لك كيف أصبحت؟ فقال: بخير والحمد لله، فقال عمر: هذا ما أردت. إنه يعلِّم الناس بشكل عملي حمد المولى سبحانه، ونصيحتي أن تقولوا كل يوم وأنتم ذاهبون لعملكم، ولمدة ثلاث دقائق: الحمد لله، سهلة جداً، وأنت تقولها تذكر نعمة من نِعَم الله عليك ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ والعكس ﴿وَلَئِن كَفَرْتُمْ﴾ جعل الله سبحانه وتعالى عكس الشكر الكفر، وتجد دائماً الشكر يأتي دائماً عكسه في القرآن الكفر ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ۝٣﴾ [الإنسان: 3]، سيدنا سليمان عليه السلام قال: ﴿هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ﴾ [النمل: 40].

احذروا نحن نقلد قوم عاد!

قال الله تعالى في سورة «الشعراء»: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ۝١٢٤ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ۝١٢٥ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ۝١٢٦﴾ [الشعراء: 124 ـ 126]، نفس الأمر ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝١٢٧ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ ۝١٢٨﴾ [الشعراء: 127، 128]، وهنا وقفة، ريع يعني: قصور، ناطحات سحاب على قمم الجبال لكن ليست للسكن بل للعبث، يعني: أنتم بنيتم هذه المباني للمبالغة والتفاخر والتعالي والعبث بالأموال، ونحن الآن نقلد قوم عاد، مثل: الأفراح التي ينفق عليها الأموال الطائلة من أجل اسم العائلة، ولأن ابننا لا بد أن يقام له فرح مثل العريس الفلاني والعروسة الفلانية، والأهل يدفعون والناس في النهاية تقول: العروسة حاجبها اليمين مقطوع، والأكل سيىء، والأهم أننا ابتدأنا حياتنا بمعصية، لا أقول: إن الفرح حرام، لكن ما يتم في الفرح من إنفاق مبالغ طائلة ومن معاص هو الحرام، لكن لو تم الفرح بشكل هادىء ومحترم لا توجد فيه معاصٍ، طبعاً يكون حلالاً، لننتبه أن عاقبة قوم عاد خطيرة وهذه الآية إحدى أسباب هلاكهم بسبب التفاخر بالمعصية ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ ۝١٢٨﴾ [الشعراء: 128]، إياك أن تقلد عاداً في هذا الموضوع.

لا خلود في الدنيا:

قال تعالى: ﴿وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾﴾ [الشعراء: 129]، هم عرفوا المصانع، ويدل ذلك على سبقهم وتقدمهم الشديدين، وماذا يعملون بالمصانع؟ يبنون بها البيوت التي على رؤوس الجبال، لكن كانوا يبنونها لعلهم يخلدون، وهذه هي المشكلة الثانية.

ما معنى لعلكم تخلدون؟

يريدون أن يعيشوا في الدنيا إلى الأبد، يظنون أن القصور والأموال ستخلدهم، ومنا من يقلد عاداً في هذه النقطة، هناك فتيات من شدة اهتمامها بجمالها والموضة نسيت أن هناك آخرة، تظن نفسها ستخلد، تظن أنها ستظل جميلة دائماً ولن تكبر، وهناك من يظن بماله أنه سيخلد.

إياك والظلم:

قال تعالى: ﴿وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾﴾ [الشعراء: 130] يوم أن تغضبوا تظلموا، عندما تظلمون لا تظلمون ظلماً عادياً بل تتجبرون في الظلم، ويوجد اليوم من يقلد قوم عاد فيها، المرأة التي عندها خادمة وهي تعذبها نفسياً أو بدنياً أليس هذا من بطش الجبارين؟ والزوج الذي يعذب زوجته ويستغل ضعفها بين يديه ألا تنطبق عليه هذه الآية؟

هذه الصفات الثلاثة أحد الأسباب الأساسية في هلاك قوم عاد: العبث، والظلم، والبطش.

قال تعالى: ﴿وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٣١﴾﴾ [الشعراء: 130، 131]، اتقوا الله وأطيعوا النبيّ ﷺ، وهذه تتكرر كثيراً في القرآن: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٣١﴾﴾، ثم ذكرهم الله بنعمه عليهم: ﴿وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُم بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾﴾ [الشعراء: 132، 133]، أبناءكم نعمة من الله ﴿وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٣٤﴾ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣٥﴾﴾ [الشعراء: 134، 135]، وهنا يظهر الحب لهم فهي دعوة أساسها الحب وليس أساسها البغض والظلم.

ثم قالوا: ﴿قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ الْوَاعِظِينَ ﴿١٣٦﴾ إِنْ هَٰذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣٧﴾﴾ [الشعراء: 136، 137]، نحن سنسير على طريق آبائنا وأجدادنا، كل الأقارب والأصدقاء في الأفراح يحضرون راقصة وأنا سأفعل مثلهم! ﴿إِنْ هَٰذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣٧﴾﴾ [الشعراء: 137]، جدتي وأمي وخالاتي لَسْنَ محجبات، أنا سأفعل مثلهن ﴿إِنْ هَٰذَا إِلَّا خُلُقُ

﴿ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣٧﴾﴾، نحن سنسير على خُلُق الناس الذين سبقونا وانظر إلى قولهم: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَوَعَظْتَ﴾، هل منا من يفعل ذلك إذا وعظه أحد، يقول له: تعظني أو لا تعظني أنا سأفعل ما أراه، ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا خُلُقُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣٧﴾ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿١٣٨﴾﴾ [الشعراء: 137، 138]، انظروا للكبر!

شيبتني هود وأخواتها

قال النبيّ ﷺ: «**شيبتني هود وأخواتها**»[1]، هذه السورة قوية جداً والذي يحفظها يستمتع بها استمتاعاً شديداً، في الآية: 50 يقول تعالى: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴿٥٠﴾﴾، بمجرد أن تسمع كلمة عاد إذن وراءها كلمة أخاهم لماذا؟ حتى يُعَمّق بداخلنا هذا المعنى، إياك أن تدعو الناس بعنف أو تكلم الناس بطريقة التضييق عليهم، كونوا رحماء بالناس وهذا الكلام للنساء خصوصاً ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴿٥٠﴾ يَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِى فَطَرَنِى ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٥١﴾ وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا﴾ [هود: 50 ـ 52]، هل تذكرون الاستغفار في سورة «نوح»؟ كان نفس هذه الكلمات ﴿يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا۟ مُجْرِمِينَ﴾، عليكم بالاستغفار يا إخوتي، وفي قصة سيدنا نوح عليه السلام ذكرت أن من لزم الاستغفار جعل الله له من كل ضيق مخرجاً، ومن كل همٍّ فرجاً، ورزقه من حيث لا يحتسب، وهنا تقول الآيات: ﴿يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ﴾ [هود: 52]، الفرق بيننا وبين جيل الصحابة أن الصحابة كانوا يتلقون القرآن للتنفيذ، أما نحن فنتلقى القرآن لنشفي به من الأمراض ومن الجن، لا يجوز أن تكون علاقتنا بالقرآن بهذا الشكل.

أين معجزة سيدنا هود؟

قال تعالى: ﴿وَلَا تَتَوَلَّوْا۟ مُجْرِمِينَ﴾ [هود: 52]، ثم يقول تعالى: ﴿قَالُوا۟ يَٰهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِىٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [هود: 53]، هنا ملحوظة جميلة وهي أن كل نبي من الأنبياء يبعث الله معه معجزة، سيدنا موسى عليه السلام العصا، سيدنا إبراهيم عليه السلام النجاة من النار، سيدنا عيسى عليه السلام إحياء الموتى، سيدنا صالح عليه السلام الناقة، أين معجزة سيدنا هود؟ سنجد معجزته موجودة في الآيات: ﴿قَالُوا۟ يَٰهُودُ

(1) أخرجه الترمذي في (الحديث: 3297).

مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِيٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾ إن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ﴾ [هود: 53، 54]، يقولون له: نحن نشعر أن الآلهة أمرضتك بالخبل العقلي؛ لأنك لا تعبدها، لقد جننت، وهذا من فعل الآلهة؛ لأنك كفرت بها ﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ﴾، المعجزة هي: ﴿قَالَ إِنِّيٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓاْ أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِۦ فَكِيدُونِى جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾﴾ [هود: 54، 55]، لو أنكم تستطيعون أن تقتلوني تعالوا اقتلوني كلكم، اقتلوني الآن حالاً ﴿ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ﴾، لا تنتظروا لغد، أنا منتظر أن تقتلوني الآن، لكنكم لن تستطيعوا وهذه هي معجزة سيدنا هود، أنه تحداهم بمفرده، أنتم كلكم بقوتكم الشامخة لن تستطيعوا إهلاكي ﴿إِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّى وَرَبِّكُم﴾ [هود: 56]، لا إله إلا الله، هل استطاعوا أن يقتلوه؟ لا، إذن هو نبي أليس كذلك؟ وهذه هي معجزته.

أين التوكل في حياتنا؟

قبل أن يقول: ﴿إِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ﴾، كان يمكن أن يقول البعض: إن هذه مبالغة في إظهار القوة في غير موضعها؟ لكن الآن وبعد أن ختمها بقوله: ﴿إِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّى وَرَبِّكُم﴾، هذه معجزته، والسؤال هنا: هل نحن متوكلون على الله؟ يقول العلماء: *ان من أكل فلساً من حرام فليس بالمتوكل؛ لأنه لا يصدق أن رزقه آتٍ له، ومن بكّت على أولادها؛ لأنها تموت ولا تعرف لمن تتركهم من بعدها ليست بمتوكلة؛ لأنها نسيت أن لهم اللّه، ومن خاف من الناس أن يؤذوه وهو على الحق ولم يستطع أن ينام من شدة الخوف فليس بمتوكل.*

تعلموا من سيدنا هود هذه النقطة، هذه الآية مؤثرة جداً: ﴿فَكِيدُونِى جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾ إِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّى وَرَبِّكُم﴾.

أتعلم ما معنى التوكل على الله؟

أن ترضى بالله وكيلاً وتقول له: يا رب، أنا وكلتك أن تتصرف في أموري مثلما أردت، كأنك ذهبت للشهر العقاري وفعلت لأحد الناس توكيلاً فتقر بأنك وكلت فلاناً، وأنت توكله هل تشك فيه؟ طبعاً لا، وإلا ما كنت وكلته، فعليك أن تتوكل على الله، و«الوكيل» من أسماء الله الحسنى، هل ينفع أن تقول له: يا وكيل، وكلتك، ثم يضيعك؟ لا أبداً، المعنى كبير، لو عندك مشاكل الدنيا وقلت: يا رب، عندي مشكلة واحدة وكلتك يا وكيل، واعقد عقد الوكالة مع الله ﷻ، وإياك أن توكله وعندك شك به! تعلّم من سيدنا

هود.. تعلم أن تتوكل وتكون قوي الصلة بالله، ولن يضيعك حتى لو ابتلاك بمصيبة ما، سيريد الله بها لك الخير وهي لمصلحتك، اترك الوكيل يتصرف ولا تشك به. جاء رجل أعرابي - وكان كافراً - إلى النبي ﷺ وهو نائم تحت شجرة، وقد علق النبيّ ﷺ سيفه على الشجرة، فجاء الأعرابي وانتزع السيف ووضعه على رقبة النبيّ ﷺ، وقال: من يمنعك مني؟ فقال النبيّ ﷺ: «الله ﷻ»، فسقط السيف من يد الأعرابي فأخذ النبيّ السيف ووضعه على رقبة الأعرابي وقال له: «**من يمنعك مني؟**» فقال: يا محمد كن خير آخذ[1]، فأطلق النبي سراحه.

بل يُطْلَق:

سُجن رجل في سجون المعتصم، والمعتصم كان مغتاظاً منه جداً، لكن الرجل كان شديد التوكل على الله ﷻ، وكان عابداً لله، ولسان حاله يقول: أنا معك يا رب، الوكيل لا يضيّع، تذكر المعتصم الرجل الذي في السجن فنادى وزيره وقال: أيها الوزير، فلان الذي في السجن يصلب، وكتب له هذا في ورقة، فأطلق وزير السجن سراح ذلك الرجل، فغضب المعتصم وقال له: ألم آمرك أن تصلبه؟ فقال الوزير: يا أمير المؤمنين، لقد كتبت يطلق ولم تكتب يصلب، فقال: أرينيها، فرآها فوجد نفسه كتب يطلق، قال: كتبتها خطأ، فكتب ثانية ولكنه كتب يطلق أيضاً، وحدث ما حدث في المرة الأولى، فكتبها ثالثة ولكنه كتب: والله ليطلقن، فقال المعتصم: نعم يطلق، فمن أمر الله بإطلاقه فلا يستطيع المعتصم أن يصلبه.

ناصيتك بيد من؟

انظر لتوكل سيدنا هود عليه السلام وهو يقول: ﴿قَالَ إِنِّيٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓاْ أَنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِۦ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسْتَقِيمٖ ﴿٥٦﴾﴾، والناصية مقدمة الرأس وهي أشرف جزء في الإنسان، فسيدنا هود عليه السلام يقول لهم: أنا لا أخاف منكم؛ لأن ناصيتي بيد الله ﴿مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآ﴾، إن مالك الملك والقادر والمهيمن والجبار هو الله تبارك وتعالى، كل الدواب في الأرض ناصيتها بيد الله، فأين الله في قلوبنا وأين العقيدة، وأين الإيمان وأين التوكل؟ ﴿مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسْتَقِيمٖ﴾، أفعال ربي كلها مستقيمة كلها حكمة ليس فيها أي خطأ، أفعال ربي على صراط مستقيم.

---

(1) أخرجه الإمام أحمد في (الحديث: 3/ 364).

سبب الهلاك الرئيسي

ولكن متى هلكوا؟ يقول الله تبارك وتعالى: ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُوا۟ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾، انظر لهذا الرد الإلهي ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ [فصلت: 15]، انظر لقوة المعنى وشدة الرد، هناك شباب مغرور بقوته وبشبابه وبعضلاته، حذار أن يقول الإنسان لنفسه: من أشد مني قوة؟ إياك أن تنظر لمالك وتقول: من أشد مني قوة؟ لننتبه أن هذه الكلمة هي السبب المباشر في إهلاك عاد، قالها الفراعنة وقالها الرومان، وقالها الفرس فأين ذهبوا؟ قالتها بريطانيا العظمى، يوم أن قالت: بريطانيا التي لا يغرب عنها الشمس أين هي الآن؟ قالها النازيون يوم أن قالوا: ألمانيا فوق الجميع، أين هم الآن؟ واليوم أمم كثيرة في العالم متجبرة وتقول: من أشد منا قوة؟ وإن مصيرهم سيكون كمصير عاد، ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾، لا إله إلا الله... القرآن جميل حين نعيش معه!

وبدأ الإهلاك:

وبدأ الإهلاك وكان شديداً رهيباً، وأنا أريد ونحن نقرأ أو نسمع آيات الإهلاك لقوم عاد ألا نظن أننا لا شأن لنا بهذا، فالله تعالى يقول: ﴿وَمَا هِىَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾ [هود: 83]، وقد تم الإهلاك على مرحلتين: المرحلة الأولى وكانت مفاجأة، يقول الله تبارك وتعالى يصف هذه الصيحة: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ بِٱلْحَقِّ﴾ [المؤمنون: 41]، كانوا يستحقونها بالحق ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ بِٱلْحَقِّ فَجَعَلْنَٰهُمْ غُثَآءً فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤١﴾﴾، فجأة سمعوا صوت صيحة شديدة فجفت الأنهار وتوقف المطر وتهدمت البيوت بصيحة، انظر لمدى قوة الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾، صيحة صوت أوقفت كل الحياة وأصبحوا مثل الغثاء لا قيمة لهم، وذلك بعد العز والقوة التي كانوا عليها، لكن لم يموتوا.

وجاءت السحابة:

شعروا بالتعب وهم ينظرون إلى السماء وينتظرون أيُّ سحابة ليبدأ النوع الثاني من الإهلاك، وذلك لأنهم يستحقون إهلاكين لشدة إعراضهم وتكذيبهم، وجدوا سحابة سوداء تقترب منهم ففرحوا بها ﴿قَالُوا۟ هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا﴾ [الأحقاف: 24]، لقد جاء المطر، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ﴾، داخل على الوديان، كانت أودية لم تكن صحراء: ﴿قَالُوا۟ هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ۖ بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦ ۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾

تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾ [الأحقاف: 24، 25]، ألم يكونوا يقولون: ﴿مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾، أرسل الله لهم جنداً من جنده اسمه الهواء، جند ضعيف جداً من جنود الله قطع رقابهم، فلنحذر من غضب الله، ألا يخاف الإنسان منا أن يموت وهو يزني أو يشرب الخمر؟ آيات الغضب شديدة جداً، لا بد أن نخاف ولا بد أن نقلق ولا بد أن نخاف أن ننام على معصية فيصيبنا ما أصاب عاد ﴿وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾، ﴿فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ۝٦ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ۝٧ فَهَلْ تَرَى لَهُم مِّنْ بَاقِيَةٍ ۝٨﴾ [الحاقة: 6 ـ 8]، كانت الريح تأخذ الواحد منهم الذي طوله مائة ذراع فترفعه في الهواء وتقلبه على الأرض مثل النخلة عندما تنخلع من جذورها فينزل على رقبته وتنكسر الرقبة ويبقى جسداً بلا رأس، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ ۝٤١ مَا تَذَرُ مِن شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ ۝٤٢﴾ [الذاريات: 41 ـ 42].

ولقد تركناها آية:

فتحولت الأرض الخضراء إلى رميم وهي على ذلك الحال حتى يومنا هذا، ﴿وَلَقَد تَّرَكْنَاهَا آيَةً﴾ [القمر: 15]، صحراء لا يقدر أحد أن يذهب إليها، سبحان الله، ويأتي العلم الحديث والأقمار الصناعية فوق منطقة الربع الخالي لتصوّر المنطقة، ويفاجأ العلم الحديث أن كلام القرآن صحيح ﴿إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ۝٧﴾ [الفجر: 7]، العلماء الذين تكلموا في الإعجاز القرآني ذكروه وذكره علماء أمريكان في مجلات أمريكية وقالوا: عندما صورنا منطقة الربع الخالي وجدنا تحت منطقة الصحراء وتحت الرمال آثار لأعمدة ضخمة جداً تحت الأرض وآثار لمجرى أنهار: ﴿وَلَقَد تَّرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ۝١٥﴾ [القمر: 15].

هذا هو التعذيب فما السبب؟ يقول الله تبارك وتعالى في آية أخرى: ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ۝١٨ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ۝١٩ تَنزِعُ النَّاسَ﴾ [القمر: 18-20]، تحمله وترفعه في السماء: ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ ۝٢٠ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ۝٢١﴾ [القمر: 20، 21].

حتى لا يكون مصيرنا كمصير عاد:

لا إله إلا الله، فهل نخاف ونحن نعصي الله أن ينزل علينا العذاب، لا بد أن تخاف إذا كان نبيك ﷺ يخاف، كان إذا وجد سحابة مقتربة يتغير لونه ويدخل ويخرج حتى ينزل المطر فيُسَرّ النبيّ ﷺ فتقول له السيدة عائشة رضي الله عنها: ما لك يا رسول الله؟ قال: «**ومن يؤمنني**

يا عائشة أن يصيبنا عذاب كعذاب قوم عاد؟»[1]، أنت يا رسول الله خائف؟ ونحن منا أناس تزني من عشرين سنة، وأناس شربت خمراً، وفتيات تزوجت عرفياً وحدث ما حدث، أخاف من تكرار مأساة عاد لكن لن تتكرر؛ لأن الله وعد أمة محمد أنهم لن يهلكوا مثل الأمم السابقة حباً لرسول الله ﷺ، يجب أن تخاف من أن ينزل عليك غضب الله وأنت تعصي، إياك أن تنام بالليل وأنت على معصية، تب فربما لا يَطلع عليك الصباح، إياك أن تزني فتبعث على هذه الهيئة.

كيف نجا هود والمؤمنون؟

تحولت بلاد عاد إلى رمال متحركة ﴿وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ ءَايَةً﴾، ونجا هود عليه السلام ومن معه من المؤمنين، يقول الله ﷻ: ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا﴾ [الأعراف: 72]، كيف نجوا وسط هذه الرياح؟ برحمة من الله ﴿إِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّى وَرَبِّكُمْ﴾، التوكل على الله نجّا هوداً عليه السلام ومن معه، لتنتهي جولة من صراع الحق والباطل، وما زال صراع الحق والباطل مستمراً إلى قيام الساعة، فكن من أهل الحق ولا تكن من أهل الباطل فلن ينجو أحد إلا برحمة الله تبارك وتعالى، يقول أبو الدرداء وهو الصحابي الجليل يذكرنا بقصة عاد: إن من كان قبلكم كانوا يجمعون كثيراً ويبنون مشيداً ويأملون بعيداً فأصبح جمعهم بوراً وبنيانهم قبوراً، وأملهم غروراً.

من يشتري تركة عاد بدرهمين؟ هل يرضى إنسان أن يشتري تركة عاد بجنيه؟ لا أحد يرضى أن يشتريها؛ لأنها أصبحت لا تساوي شيئاً.

---

(1) أخرجه مسلم في (الحديث: 2082)، و(الحديث: 2083).